وعي ولاوعي اليهودي. انها صورة غاية في القولبة والتشويه وقلب الحقائق.

العربي في أدب شبتاي هو العابر، وليس ابن المكان الحقيقي. هو البدوي، او المخيف، او المرعب. ولن نغالي في القول ان الصورة السلبية التي تمّ رسمها للعربي، عبر اقوال وهواجس شخصيات الروايتين، تعبّر عن السياسة الرسمية العامة التي انتهجها الحكّام الاسرائيليون. ويصعب القطع في امر موافقة، او عدم موافقة، شبتاي على هذه الصورة؛ فليست هناك دلائل تشير الى حقيقة موقفه من العربي، سوى الاشارات العابرة، التي عبّرت عن مواقف ابطاله اكثر ممّا عبّرت عن مواقف شخصية.

ومهما يكن، فان مخاوف مئير، في الخارج، من العربي، اشارت، ولو اشارات خاطفة، الى التقاء موقف «اللابطل» مع موقف شبتاي نفسه. والخوف من العربي، في اغلب الاحيان، هو خوف سيكولوجي، منشأه تعتيم السياسة وعدم اللقاء مع العربي وتأثير الجو العام (الصراع) على الافراد.

تدور شخصيات الروايتين في اماكن مغلقة وخانقة بحثاً عن معنى لحياتها وللتغلب على خيباتها المتكررة. ولقد برع شبتاي في تصوير انغلاق المكان والاختناق القاتل: اذ لا يعقل ان تظل السياسة الاسرائيلية كما هي، ولا يعقل ان يظل العربي (حسب تصوراتهم هم) مخيفاً، ومرعباً، ومنمّطاً، ومتخلّفاً. ومع ان شبتاي لم يطرح حلولاً واقعية، الّا ان النتيجة التي قد يتوصل اليها القارىء هي: فشل الآباء (السياسة الصهيونية التوسعية)، ووجوب انفتاح المكان على الاماكن الاخرى (السلام، او ما اليه).

صورة العربي السلبية هي نتيجة للسياسة الاسرائيلية، وللتشويه الذي قامت به المؤسسات والمنابر الاخرى عبر سنين طويلة.

تسلّط اليمين

في «تذكار ما جرى»، وضعنا شبتاي تجاه واقع مأزوم: فشل جيل الآباء المؤسسين في تأسيس ارضية حقيقية لافكارهم، وطموحاتهم، ومثالياتهم؛ ومن ثمّ العمل على نقلها الى الجيل الجديد. ببساطة، اوضح شبتاي لنا موقفه من الفكر الذي حمله الجيل المؤسس؛ واوضح لنا، في الوقت عينه، حدسه، او نبوءته التشاؤمية عن تسلّط اليمين على الحكم.

لم يطل الامر كثيراً. فبعد صدور الرواية، استلم الليكود الحكم، وتحققت نبوءة شبتاي: فشل اليسار الصهيوني، المتمثّل في المعراخ.

في رواية «نهاية أمر»، اصبح الليكود حقيقة واقعة، وتحوّل الهاجس المؤرق حول ازدياد سيطرة اليمين الى ظاهرة يومية. لذلك، نرى ان السياسة (على المستوى المباشر والظاهر) تظهر علانية بين سطور الرواية الاخيرة. فجنون وتعنّت السلطة الحاكمة (الليكود) دفعا ام مئير الى ان تعلن، صراحة، عن خيبتها: «من خيّل له ان بيغن سيحكم هنا. لو قام بيرل وبن ـ غوريون ورأيا»؛ وعلت اصوات خطوات من الدرجات، واضافت حالاً: «لم نأت الى البلاد لاجل هذا. ليس لأن يدمّر التنقيحيون كل شيء»[٢٨].

وبعد سيطرة الليكود وازدياد التطرف الاعمى والمجنون، اخذت البلاد تنغلق على نفسها اكثر فأكثر؛ وصارت تل ـ ابيب تتحوّل الى مستنقع، وامسى المنفى حلاً مناسباً لهذا الوضع القاتل؛ فالبلاد اصبحت منفى هي الاخرى: «لا يهمّك ان تعيش في المنفى؟». وقال بيل: «هنا المنفى الكبير جداً»[٢٩]. ولم تعد الازمة هي ازمة الجيل الجديد الشاب؛ بل اصبحت الازمة عامة: ازمة فشل سياسية